مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

الماء والحرب في حواضر المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط

لمياء جوبير
أستاذة السلك الثانوي التأهيلي
باحثة دكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
المحمدية – المملكة المغربية

مُلَخّص

يقتضي البحث في تمظهرات وأشكال العلاقة القائمة بين الماء والحرب في تاريخ المغرب إبان الفترة الوسيطية تسليط الضوء على مختلف تجليات وأبعاد الترابطات والعلائق الكائنة ما بين عناصر هذه الثنائية، وذلك من خلال إبراز دور الماء في تحصين الحواضر والمنشآت العسكرية ببلاد المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، مع تبيان أوجه استخدامات الماء في ساحات الوغى باعتباره وسيلة عسكرية، ثم الإشارة لمختلف التدابير الاحترازية التي اتخذت لاتقاء شر الحصارات التي يوظف فيها هذا العنصر الطبيعي. ولقد استلزم الإبحار في لجة هذا البحث الاعتماد على ترسانة مهمة من التآليف المصدرية المختلفة، تنوعت ما بين كتب التاريخ العام أو ما يصطلح عليه بالكتب الإخبارية التقليدية، وكتب الرحلات والجغرافيا، وكتب الأحكام السلطانية والمصنفات العسكرية، بالإضافة إلى العديد من المراجع والمقالات التي عنيت بذات الموضوع. وهو ما مكننا من تسجيل مجموعة من النتائج المرتبطة بأهمية الماء في مختلف العمليات العسكرية بدءًا من التحصين، والدفاع، وأماكن نزول وتمييز الجيوش، وصولا إلى عمليات الحصار والهجوم. الشيء الذي كان يفرض الحرص التام على ضمان تزود الحواضر بالموارد المائية الكافية قصد التمكن من تلبية مختلف الحاجيات والاستعمالات. وهو ما استوجب القيام بمجموعة من التدابير الاحترازية ذات البعد الاستباقي من قبيل عملية حفر الآبار وحفظ وتخزين المياه بالاعتماد على مجموعة من التقنيات والمنشآت المائية. كما لن يفوتنا استحضار دور هذا العنصر الحيوي المهم في عملية ترسيم الحدود وضبط مجالات السيادة والسلطة بين مختلف القوى السياسية المتصارعة في العديد من المحطات التاريخية المختلفة. ومما ينبغي الإلماح إليه هو أن هذه الورقة البحثية تأتي كمحاولة لاستجلاء معالم الترابط بين الماء والحرب، وذلك في سياق المقاربات والدراسات التي تروم سبر الأغوار الغائبة سوى لماما في بعض إنتاجاتنا ودراساتنا التاريخية.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٠٨ أكتوبر ٢٠٢٢
تاريخ قبول النشر: ٠٣ نوفمبر ٢٠٢٢

كلمات مفتاحية:

الماء؛ الحرب؛ الحصار؛ التحصين؛ الحواضر؛ الهجوم؛ تدابير احترازية

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2022.310054

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

لمياء جوبير. "الماء والحرب في حواضر المغرب الأقصى: خلال العصر الوسيط"- دورية كان التاريخية- السنة الخامسة عشرة- العدد الثامن والخمسون؛ ديسمبر ٢٠٢٢. ص ٦٥ – ٧٣.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: lamiaa.joubeir@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

يرتبط البحث في ثنائية الماء والحرب بالنقطة المتعلقة بتأثير الظروف المناخية على واقع الحرب، وهو ما يجرنا للحديث عن الارتباط الحاصل بين العامل الطبيعي المتمثل في الماء وعلاقته بالحرب، وهي العلاقة التي أوضح الأستاذ محمد استيتو مظاهرها وجزئياتها في إحدى مساهماته حين قال: "هذه العلاقة [...] تظهر بصفة خاصة في استغلال ينابيع الماء ونقطها ومجاريها في المعارك والمواجهات كوسيلة من وسائل الدفاع أو الضغط والابتزاز أو الهجوم[١]. فالماء يلعب دورًا مهمًا في كافة التجمعات البشرية، خاصةً خلال الحروب والنزاعات العسكرية حيث يصبح حضوره حاسما لضمان البقاء على قيد الحياة. ووعيا بمدى أهميته، أجاز العديد من الفقهاء المسلمين توظيفه واستخدامه سلاحًا في مختلف الحروب والمعارك المرتبطة بفريضة الجهاد[٢]. من هذا المنطلق، سنحاول إلقاء أضواء كاشفة على هذا الموضوع من خلال اسكتناه مظاهر التواشج ما بين عنصر الماء وظاهرة الحرب في الحواضر المغربية. جدير بالذكر أن هذه المحاولة تأتي في سياق قيام العديد من الباحثين بمقاربة هذا الموضوع ورصد معالم هذه العلاقة في فترات زمنية مختلفة، فيما تشمل جغرافيا هذه الدراسات جل بلاد المغرب، بل يمتد مجال بعضها ليطال بلاد الأندلس أيضًا[٣]. ومما ينبغي توضيحه أن مساهمتنا قيد العرض ستغطي جغرافيًا ومجاليًا حواضر[٤] بلاد المغرب الأقصى، بينما سيمتد الوعاء الزمني المخصص لهذه الدراسة من بواكير العصر الوسيط المتسم بالانقسامات والاضطرابات السياسية إلى الفترة الثانية من هذا العصر التي تميزت بظهور الدول الكبرى[٥]، وهي الفترة التي ارتأينا التركيز عليها بشكل كبير نظرا لتوفر المادة الخبرية الخاصة بهذه الفترة.

تضطلع إشكالية هذه الورقة بشكل رئيس، بالكشف عن مختلف مظاهر وتجليات العلاقة القائمة ما بين الماء والحرب في حواضر المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، ولتعميق مدارك الإشكالية التي نروم معالجتها سندرج إلى صفها مجموعة من التساؤلات. فما هو دور عنصر الماء في عملية تحصين الحواضر المغربية؟ وما هي أشكال ومظاهر استخدام الماء في المعارك والحروب بوصفه آلية عسكرية؟ وما هي أبرز التدابير والإجراءات الاحترازية التي اتخذت داخل الحواضر المغربية لضمان الإمدادات المائية؟

أولاً: دور الماء في عملية تحصين الحواضر

إن معالجة الإشكالية المتعلقة باعتماد الماء وسيلة للتحصين والدفاع، يحيلنا في البداية على الحديث عن حضور الماء بوصفه عنصرًا أساسيًا للحياة في مختلف المواقع والمجالات الحضارية، باعتباره من أهم الموارد الطبيعية الضرورية لاستقرار المجتمعات البشرية؛ واستمرار مختلف أنشطتها الاجتماعية والاقتصادية. وهو ما يفسر ذكره باعتباره شرطا مهما في اختطاط المدن والحواضر[٦]. فضلاً عن إمكانية اعتباره وسيلة طبيعية للتحصين والدفاع تفيد في دفع مساوئ الحصارات المباغتة للأعداء. فكما قال ابن خلدون في معرض حديثه عن الشروط التي ينبغي مراعاتها عند اختطاط المدن لضمان حمايتها " فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار، وأن يكون وضع ذلك في متمنع من الأمكنة، إما على هضبة متوعرة من الجبل، وإما باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة، فيصعب منالها على العدو، ويتضاعف امتناعها وحصنها[٧].

ويتجسد استغلال مجاري المياه تحسبا للحصارات وزيادة في التحصين في المواقع التي اختيرت لتشييد العديد من المدن والتحصينات العسكرية، فمدينة المعمورة على سبيل المثال " أسسها أحد ملوك الموحدين على مصب نهر سبو.. لتحمي المصب وتحول دون دخول سفن الأعداء إلى النهر"[٨]. ومن الأوجه المفصحة عن الاعتماد على الأودية كحواجز طبيعية، نذكر ما أشار له أحد المؤرخين بخصوص حاضرتي أبي رقراق، "سلا لم يكن لها سور قبالة الوادي..، لأن الأقدمين كانوا يعتبرون الأودية والأنهار الجارية والأجراف العالية بمثابة الحصون والأسوار لما يؤسسونه من المدن والقرى حولها، مثال ذلك مدينة الرباط أمامها، فإن الأسوار الموحدية وقفت عند أجراف الوادي، ولم تتجاوزه اكتفاء به"[٩]. بيد أن اقتحام النصارى لمدينة سلا من ناحية الوادي سنة ٦٥٨هـ فرض تغيير هذه القناعة، فكان أول ما قام به يعقوب المنصور فور تمكنه من إخراج النصارى بعد محاصرتهم وقتالهم هو بناء "السور الغربي الذي يقابل الوادي، لأنها كانت لا سور لها من تلك الجهة وكان خروج النصارى منه، فسار في بنائه من أول دار إلى البحر"[١٠].

وزيادة في تحصين المدينة المذكورة أحيطت هذه الأخيرة بسور اختير في موضع قريب من الوادي فقد "أحاط أبو الحسن أرض شالة – سلا بسور مشرف على مجرى الوادي أسفله، يرتفع فوق الأرض المرتفعة، وينخفض بانخفاض الأرض المنخفضة..."[١١]. ويبدو أن الأمر نفسه ينطبق على المجالات التي

اختيرت لبناء وإقامة مجموعة من المنشآت العسكرية كقصبة المهدية (الأوداية حاليًا) بمدينة رباط الفتح فقد بنيت القصبة على مصب أبي رقراق "فهي على النهر من جهة وعلى البحر من جهة أخرى"[١٢]. وفي ذلك يقول صاحب المن بالإمامة " لما وصل الخليفة إلى سلى في عام خمسة وأربعين وخمس مائة ...أمر ببناء قصبة حصينة في ذلك الموضع على فم البحر الداخل إلى سلا"[١٣].كما يلاحظ أن العديد من التحصينات العسكرية الأخرى من قبيل الأسوار والأبواب تتموقع بدورها على مقربة من مصادر المياه، ولا يقتصر الأمر فقط على مواضع تشييد القصبات. وفي هذا السياق نذكر ما أشار له ابن حوقل في معرض حديثه عن مدينة مليلية "وكانت مليلة مدينة ذات سور منيع.. وكان ماؤها يحيط بأكثر سورها من بئر فيها عين عظيمة"[١٤]. والأبواب بوصفها تحصينات عسكرية نجدها هي الأخرى تتموضع بمحاذاة مصادر المياه، فقد افترض أحد الباحثين أن باب عيون صنهاجة بمدينة فاس الذي يعرف حاليًا بباب الساكمة قد بني هو الآخر على مقربة من مكان تواجد عيون صنهاجة خلال القرن (٧هـ /١٣م)[١٥].

ولا تفوتنا الإشارة قبل إسدال ستار هذا المحور إلى استخدام الأنهار كحدود سياسية طبيعية بين الكيانات المتنازعة على حكم المغرب خاصة في فترة الاضطرابات. فلا يقتصر الأمر فقط على استغلال مجاري المياه كحواجز تفيد في تحصين الحواضر والدفاع عنها، فقد تم الاعتماد على الأنهار والأودية بوصفها معالم جغرافية تفيد في ضبط مجالات السيادة والنفوذ. ومن النصوص التاريخية التي يمكن الاستئناس بها لتأكيد هذا المعطى، نذكر ما أشار له ابن أبي زرع الفاسي في سياق حديثه عن حدود الدولة المرينية على عهد الأمير عثمان بن عبد الحق، حيث قال:" وفي سنة خمس وعشرين وستمئة قوي أمره بالمغرب، فطاع له جميع قبائله وملك جميع بواديه من وادي ملوية إلى رباط الفتح"[١٦]. وهذا ما يمكن تسجيله أيضًا خلال فترة حكم السلطان المريني يعقوب الذي أرسل له الخليفة الموحدي المرتضى صاحب مراكش سنة ٦٥٨هـ هدية وكتابا يطلب من خلاله سلمه، فصالحه السلطان المريني يعقوب وجعل الحد بينهما وادي أم الربيع[١٧].

ثانيًا: أشكال ومظاهر توظيف الماء في ساحات الحروب والمعارك

تتعدد مزايا تشييد المدن والحواضر على ضفاف المجاري المائية فهي تساهم في خلق نوع من الاستبحار العمراني، وهو ما يؤثر بالإيجاب على وضعية المدينة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي. إلا أنه وفي بعض الحالات التي تعبر عنها بعض الأحداث والوقائع التاريخية، نجد أن هذه المجاري أصبحت نقطة ضعف بالنسبة لتلك التجمعات السكانية حيث يتم استغلالها وسيلة لضرب الحصار أو التهديد بالمواجهة، الشيء الذي كان يجبر الساكنة في كثير من الأحيان على إعلان الطاعة والاستسلام لأعدائهم وخصومهم[١٨]. وفي هذا السياق نحيل على بعض النصوص الواردة في كتب الأحكام السلطانية، والتي تفيد في تبيان كيفية استغلال المياه أثناء الحصار لإضعاف شوكة العدو كما الشأن بالنسبة للماوردي حين قال: "ويجوز أن يغور عليهم المياه ويقطعها عنهم وإن كان فيهم نساء وأطفال، لأنه من أقوى أسباب ضعفهم والظفر بهم عنوة وصلحا، وإذا استسقى منهم عطشان، كان الأمير مخيرا بين سقيه أو منعه، كما كان مخيرا فيه بين قتله أو تركه"[١٩].

ومن القرائن التاريخية التي تجسد عملية توظيف مياه الأنهار أداة لإخضاع الخصوم ووسيلة لاقتحام المدن، نشير للحصارات التي تعرضت لها مدينة فاس في محطات تاريخية مختلفة، فمنذ فترة حكم المغراويين، أشهر سلاح الماء في وجه المدينة وساكنتها، بعدما أقدم ابن عم الأمير "دوناس بن حمامة" المسمى "حماد بن معنصر بن المعز" على قطع مياه واد فاس على عدوة القرويين في خضم نزاع الأميرين المستعر، الشيء الذي كان سيؤدي إلى شلل كلي للحياة الحضرية داخل المدينة وتوقف مختلف أنشطتها ، لولا توفر العدوة على منابع طبيعية بداخلها[٢٠]. ولقد حاصر الخليفة الموحدي عبد المومن الكومي مدينة فاس سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) وهزم المشرف عليها أبو محمد الحياني من خلال استغلال الوادي الذي يخترقها. وهو ما عبر عنه صاحب الحلل الموشية بقوله " بالغ في حصارها، وأقام محاصرًا لها نحو تسعة أشهر، وأهلها يقاتلون خارج البلاد، ومن أشد ما دهاهم به أن الوادي الذي يشق مدينة فاس سده عليهم، وأمر الناس أن يسووا الحطب والخشب، ويرفعوا التراب على ذلك سدًا بعد آخر حتى احتبس الماء، وحصر الوادي، فصار الفحص كله بحرا، وأقام الماء يرتفع إلى أن صار بحرًا تجري فيه السفن، استعان على ذلك بكثرة الآلات والعلم، واتساع الفحص، ثم هدم السد بمرة، فوقع عليهم السور"[٢١]. كما أن السلطان المريني أبو بكر بن عبد الحق استخدم نفس الوسيلة، حيث قام باستغلال الماء لحصار مدينة فاس وقتالها، بعدما " قطع الوادي الداخل إليها وجلب أهل مكناسة والقبائل إلى قتالها، ولم يرفع عنها الحصار إلا بعد فتحها"[٢٢].

ويبدو أن مدينة تازة اصطليت بذات السلاح، فخلال فترة الاضطرابات كان يتم استغلال النهر الذي ينحدر من الأطلس ويمر بالمدينة ويخترق جامعها الكبير، حيث " يغير الجبليون أحيانا مجراه عندما يختصمون مع سكان المدينة، ويصرفونه إلى مكان آخر فتتأذى المدينة كثيرا، إذ لا يمكن حينئذ طحن الحبوب ولا الحصول على ماء صالح للشرب، ويضطر السكان إلى الاكتفاء بماء الخزانات العكر. ثم يرد الجبليون الماء إلى المدينة عندما يعود السلام"[٢٣]. وبالمثل، استخدم عنصر الماء في مدينة سجلماسة كوسيلة للضغط على أهلها أثناء النزاعات، فقد كان المتنازعون يقومون بإتلاف قنوات السقي المجلوبة من النهر، كما كان يتم تغوير عيونها مثلما حدث سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٣م) وهو ما كان يسبب أزمة خانقة للمدينة.[٢٤]

وبمراكش أيضًا وظف الماء كأداة لإحكام الحصار من خلال قطع المياه وعدم تمكين الخصوم من الحصول على الماء، فخلال حكم الخليفة الرشيد وتحديدًا سنة (٦٣٢هـ/١٢٣٤م) حوصرت حاضرة الدولة الموحدية من طرف عرب الخلط الذين استعانوا بابن وقاريط الموالي ليحيى بن الناصر وقاموا بإحكام الحصار على المدينة وساكنتها بعدما "حشدوا حشودهم واجتمعوا من كل أوب وفج واستقبلوا الحضرة.. فأحدقوا بجنباتها، وخيموا بأحوازها وجهاتها، وشرعوا في تدمير البحائر وقطع مياهها وشجراتها"[٢٥]. وهو ما أدى لفرار الناس بعدما تملكهم الرعب وانقطعت أمامهم السبل وأصبح الجوع والعطش يهددهم. وأثناء محاولة الخليفة الرشيد الخروج من أغمات بعد الهرب من مراكش بمعية أهل مشورته، تدخل عنصر الماء أيضًا ليعيق عملية فرارهم، فقد "لقوا من المشاق في تلك الأوعار والمضايق ومجاري المياه.. ما لا يوصف"[٢٦]. ومن الأحداث التاريخية المهمة التي تضطلع بكشف دور الماء البارز في تغيير مجريات الحرب، نذكر معركة البحيرة أو البحيرية التي جرت ما بين المرابطين والموحدين سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م)، قرب أسوار العاصمة مراكش، فهذه الواقعة تشهد على فاعلية العوامل الطبيعية ومدى تحكمها في المجال الحربي، فقد أثرت السواقي والحفائر المائية التي بلغت سعة مغار بعضها ثلاثون ذراعًا على مجريات المعركة ، وهو ما نستشفه من نص صاحب نظم الجمان بقوله: "فكانت المدافعات بينهم على رؤوس العيون من سواقي الرقائق فاستشهد من استشهد من الموحدين وانحاز باقيهم إلى التمنع بداخل البحيرة" [٢٧]. ولقد تدخل عنصر الماء مرة أخرى في هذه المعركة ليحول دون استمرارها بفعل هطول الأمطار. وهو ما عبر عنه ابن القطان بقوله: "وكان من لطف الله تعالى أن جاءت السماء بمطر وابل في عشى ذلك اليوم فانكفأ له المجسمون إلى ديارهم ليعاودوا القتال بعد ذهاب كللهم"[٢٨].

وتتمثل الوظيفة الحربية للماء أيضًا في استغلال نقط الماء كمحطات مهمة لاستراحة الجند وضمان تزودهم بالموارد المائية خلال معاركهم البعيدة والطويلة، ولعل هذا ما يفسر اقتران ذكر المعارك بالأنهار والعيون والآبار في مواضع نزول والتقاء الجيوش.[٢٩] ويبدو أن ما عضد ذلك هو قيام العديد من الفقهاء بالتأكيد على أهمية نزول الحاميات العسكرية في المواضع القريبة من مصادر المياه من خلال مؤلفاتهم التي عنيت بأحكام الجهاد. مثال ذلك، النصيحة التي أوردها المرادي في كتابه السياسة والمعروف بالإشارة في تدبير الإمارة عندما قال: "واحتل للشمس أن تكون معك في وقت اللقاء، وللريح أن تكون معك وقت الهجوم وللماء وللمرعى أن يكونا معك في مكان النزول"[٣٠]. ويتجسد الوعي بالبعد الاستراتيجي والعسكري لهذه المواضع في مجموعة من الوقائع والمعارك الحربية خلال محطات تاريخية مختلفة. نتبين ذلك من خلال صراع الزناتيين وأمويي الأندلس على المغرب الأقصى المتمثل في خلاف زيري بن عطية والحاجب المنصور الذي قام بإرسال مولاه واضح الفتا بجيش عظيم سنة ٣٨٦هـ لمواجهة زيري وانطلق واضح من طنجة حيث "لتقا الجمعان بوادي ردات"[٣١]. ولقد أدت هزيمة واضح الفتا إلى تجدد النزاع، فقد أرسل المنصور ابنه عبد الملك المظفر ومعه واضح الفتا بجميع عسكر الأندلس لمحاربة زيري بن عطية، ليلتقي الجمعان مرة أخرى بوادي منى من أحواز طنجة[٣٢]. وغداة حكم الأسر الكبرى يمكن ملاحظة نفس الأمر المرتبط بخوض المعارك بمحاذاة المجاري المائية واستغلالها كمجالات حربية لمواجهة الخصوم، ففي عهد المرابطين عبر يوسف بن تاشفين نهر أم الربيع في جيوش لا تحصى لقتال البورغواطيين، بعدما قاموا بقتل العلماء الذين أرسلهم للقيام بمهمة الوعظ والإرشاد، ففر البورغواطيون من تامسنا وعبروا نهر أبي رقراق في اتجاه فاس، فقام "ملك فاس حين علم بتأهب أهل تامسنا لعبور نهر أبي رقراق والسير إلى جهة فاس، بعقد هدنة مع الزناتيين وقصد النهر على رأس جيش عرمرم ،حيث واجه ملك تامسنا الشقي الذي كانت جنوده منهوكة جوعًا وبؤسًا، وهو يريد عبور النهر، لكن الممر قطع عنه من قبل ملك فاس، فاضطر الأشقياء المطاردون اليائسون أن يتفرقوا في الغابات بين صخور يصعب اجتيازها. وقد أحاطت بهم جنود الملك وحاصرتهم إلى أن هلكوا بإحدى الطرق الثلاث: منهم من غرقوا في النهر، ومنهم من تردوا من أعالي الصخور فدقت

أعناقهم، ومنهم من تمكنوا من الخروج من الماء.. وضربت أعناقهم بالسيف".[٣٣]

وخلال فترة حكم الموحدين، تمكن خليفة المهدي عبد المومن الكومي من السيطرة على بلاد المغرب بعد عدة حروب ومعارك كتلك التي خاضها ضد قبيلة دكالة بمحاذاة البحر إذ" قاتل عبد المؤمن قبيلة دكالة، فانحازت إلى الساحل.. ولما اصطفوا وتأهبوا للقتال، جاءهم من ناحية أخرى غير الناحية التي اعتقدوها، فانحل نظامهم، وفل جمعهم، وخرجوا عن وعر الموضع الذي كانوا به، فألجأهم السيف إلى البحر، فقتل أكثرهم في الماء"[٣٤]. وفي إطار استكمال بسط السلطة والسيادة على المجال سرح الخليفة المذكور جيشا بقيادة الشيخ أبو حفص الهنتاني لمواجهة محمد بن هود السلاوي الثائر بماسة، حيث جرت أطوار المعركة بمحاذاة وادي ماسة الذي كان مسرحا لمجريات المعركة والتي وصفها الكاتب والفقيه أبي جعفر بن عطية القضاعي في رسالة الفتح الموجهة للخليفة الموحدي عبد المومن بقوله: "..ودعت الضرورة باقيهم إلى الترامي في الوادي، فمن كان يؤمل الفرار ويرتجيه، ويسبح طامعا في الخروج إلى ما ينجيه؛ اختطفته الأسنة اختطافا، وأذاقته موتا ذعافا، ومن لج في الترامي على لجه؛ ورام البقاء في ثبجه، قضى عليه شرقه، وألوى بذقنه غرقه؛ ودخل الموحدون إلى البقية الكائنة فيه، يتناولون قتلهم طعنًا وضربًا، ويلقونهم بأمر الله تعالى هولا عظيمًا وكربًا، حتى انبسطت مراقات الدماء، على صفحات الماء ، وحكت حمرتها على زرقته؛ حمرة الشفق على زرقة السماء، وجزت العبرة للمعتبر، في جري ذلك الدم جري الأبحر!"[٣٥].

ويبدو أن العمل بهذه الاستراتيجية قد تواصل مع بني مرين، فقد نشبت عدة معارك ما بين المصامدة والعصبية الزناتية الناشئة على مقربة من الأودية، كما الشأن لأول مواجهة بين المرينيين والموحدين بقيادة أبا علي بن وانودين سنة (٦١٣هـ /١٢١٦م)، حيث "هزم بنو مرين جيش الموحدين بفحص وادي النكور، فدخل الموحدون مدينة فاس عرايا قد تستروا بالمشعلة فسمي عام المشعلة"[٣٦]. والحرص على خوض المعارك بالقرب من مصادر المياه يظهر في العديد من المواجهات التي جمعت ما بين القوتين، يمكن فهم ذلك من خلال استقراء مضمون الحادثة التالية، فعندما قام الخليفة الموحدي السعيد بالخروج من مراكش باتجاه تامسنا في حركة لمحاربة الأمير المريني أبي يحيى ومن معه من بني مرين، حدث نزاع ما بين الفريقين بسبب الماء،" فلما وصل السعيد بمحلته [...] بادر أكثر أهل العسكر للماء عند وصولهم لشرب جوابهم، فمنعهم بنو مرين من شربه فتجالدوا بالسيوف والرماح عليه، والأمير أبو يحيى على ربوة ناشر أعلامه، والقتال على الماء بين الفريقين أمامه" [٣٧]. وهو ما يمكن استخلاصه أيضًا من المعطيات المفصلة التي أوردها ابن عذاري في بيانه المعرب حول معركة أم الرجلين التي جرت أطوارها بمحاذاة نهر أم الربيع سنة (٦٥٩هـ / ١٢٦٠م)، ففي عهد الخليفة المرتضى "اجتمع الجمعان وأوقع الحرب الفريقان، ثم صدرت العساكر المرينية إلى جهة الوادي المذكور، فطمع الموحدون في العلو والظهور.. ثم بعد ذلك رجعت عساكر بني مرين على عساكر الموحدين فهزموهم أجمعين وقتلوا منهم خلقا بموضع أم الرجلين"[٣٨].

وفي السياق نفسه المرتبط باقتران ذكر المواضع القريبة من الأودية بمجموعة من الوقائع العسكرية نسوق بعض الأمثلة التي توضح أن عملية تمييز العساكر وترتيبها هي الأخرى كانت تتم بمحاذاة مصادر المياه العذبة، فقبل فتح عبد المومن الكومي لفاس "نزل في عين أدقا.. وميز الموحدين في عدوة سبو.. وجازوا الوادي ساقة بعد ساقة.. وكان بينهم وبين الصحراوي واد يسمى بسد رواغ"[٣٩]. وعندما أراد الخليفة نفسه استفتاح مراكش خرج من مكناسة قاصدا دار ملك المرابطين و" أخذ على طريق تادلا فميز فيها، وجاء هسكورة وصنهاجة بعسكرهم وهبط بهم الخليفة رضي الله عنه على وادي أم الربيع"[٤٠]. ولقد قام الخليفة الموحدي السعيد هو الآخر بنفس الشيء عندما أراد تجهيز جيوشه بعدما ملك بنو مرين مكناسة " فخرج للقتال من مراكش في جيوش عظيمة وجنود وافرة من الموحدين والمصامدة والعرب، فسار حتى وصل إلى وادي بهت، فنزل به وأخذ في تمييز جيوشه"[٤١].

ثالثًا: تدابير وإجراءات لتوفير المياه قبل المعارك

تحتم حروب الحصار اتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات الاحترازية التي ترتبط بتأمين كل ما هو ضروري وأساسي للجند وللحاميات العسكرية، كالماء الذي يتم العمل على ضمان توفره من خلال الحرص على تأمين مختلف مصادره استعدادا للحصارات. هذا الهاجس يبرز بوضوح وبجلاء في إحدى الروايات المتعلقة بتفسير صعوبة معرفة مصدر المياه التي كانت تصل إلى مراكش، إذ جاء في هذا التفسير ما مفاده أن " ماء نهر أغمات يصل إلى مراكش.. ويتابع جريانه في قنوات تحت الأرض.. وقد أمر عدد من الملوك بالبحث لمعرفة من أين يأتي هذا الماء إلى مراكش، ويقول المؤرخون أن الملك الذي أسس مراكش توقع بفعل معطيات بعض المنجمين أنه سيخوض

معارك كثيرة، فأنجز بواسطة الفن السحري جميع العوائق الطارئة في تلك القناة، حيث لا يعرف أي عدو من أين يأتي الماء فلا يستطيع أن يقطعه عنها"[٤٢].

وبما أن المدن والتحصينات العسكرية الكائنة بها لطالما كانت مهددة بالاصطلاء بتبعات الحروب والنزاعات، فقد تم الحرص على اتخاذ مجموعة من التدابير الاحترازية التي تنم عن الحيطة والتوجس من الحصارات وما قد يترتب عنها من انقطاع للمياه ،الشيء الذي يتواءم ومجموعة من التوجيهات الواردة في المصنفات العسكرية والتي تبين ضرورة توفير المؤن والماء استعدادا للحصارات المحتملة، وهو ما عبر عنه ابن منكلي بقوله:" فالاحتراس من المحاصرة جمع الطعام والأعلاف والمتاع والطعام والملح....وحفر الآبار للماء إن خافوا غور الماء أو جمعه أيام الأمطار في الصهاريج إلا أن يكون فيها عين الماء أو العيون، فيأمنوا العطش"[٤٣]. فالخوف من استخدام عنصر الماء كوسيلة ضغط هو ما يفسر الحرص على حفر الآبار باعتبارها من أهم مصادر المياه العذبة. إذ يعزى قيام العديد من القادة العسكريين بعملية حفر الآبار في ركن أسوار بعض المدن إلى هذا الهاجس الذي يدفعهم للعمل على ضمان الإمدادات المائية للسكان استعدادًا للحصارات العسكرية الطويلة، وهذا ما يبدو بجلاء في عمارة مجموعة من المدن الموحدية[٤٤]. وبالموازاة مع هذه العملية كان يتم الاعتماد على مجموعة من التقنيات والمنشآت المائية لتوفير المياه وتخزينها والتي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:- المواجل: وبلسان سكان المغرب الأقصى "المطفيات" أو "النطافي"، هي " تقنيات عتيقة تدخل ضمن ما يسمى بحصاد مياه الأمطار، وكل هذا من أجل تدبير المياه السطحية في أوجهها المتعددة، في حالة الوفرة والندرة ولأغراض متعددة كالشرب وتوريد الماشية"[٤٥]. ومن النماذج المذكورة في المراجع والتي تعبر عن هذا الصنف من التقنيات نشير للنطفية الموجودة بقصبة المهدية برباط الفتح، والتي كانت تستخدم لتجميع وتوفير مياه الأمطار[٤٦].

الصهاريج: مفردها صهريج، ويطلق عليها سكان المغرب الأقصى اسم البركة (بكسر الباء). هي عبارة عن أحواض مائية واسعة تستخدم لتجميع المياه وتخزينها [٤٧]. ومن أشهر الصهاريج المعروفة صهريج المنارة الكائن بالحاضرة الوسيطية مراكش. بني صهريج المنارة بأمر من الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي سنة ١١٥٧م، وهو عبارة عن حوض مائي ضخم يبلغ طوله ٢٠٠ م وعرضه يفوق١٥٠م، فيما يتراوح عمقه بين مترين وثلاثة أمتار[٤٨]. استخدم هذا الصهريج في العديد من المجالات تلبية لحاجيات السكان من الموارد المائية، وتوفيرا لمياه السقي للحدائق المحيطة به، والأهم أنه " استعمل زيادة على ضبط وتنظيم مياه الساقيات والخطارات والأمطار في تدريب الجنود الذين كانوا يحاربون بالأندلس وفي حدود الإمبراطورية"[٤٩]. كما نشير إلى الصهاريج التي تم بناؤها من طرف عبد المومن الكومي بعدما اختار المهدية (قصبة الأودايا حاليا) مقرا لإقامته، فقد كان أول ما قام به هو بناء قصره بالإضافة إلى مجموعة من صهاريج المياه أمام جامع القصبة[٥٠]. ولقد تحدث ابن صاحب الصلاة عن هذه الصهاريج باستفاضة، إذ ذكر أن الخليفة أبو يعقوب يوسف عند وصوله إلى المهدية " ألفى الماء الجاري المسرب الذي جلبه أبوه رضي الله عنه في عام خمسة وأربعين المؤرخ، فسد جريه وأسن ماؤه، وتعطل في البطاح والبحاير سقيه، فأمر بإعادته إلى حالته الأولى، وزاد فيه بناء صهريج عظيم متسع، يجتمع فيه الماء، ثم يجري من ذلك الصهريج إلى السقاية المذكورة حيث شرب العسكر والناس وخيلهم ومواشيهم.."[٥١].

الخزانات: يُعَدّ الخزان أو الجب من أهم التقنيات المستخدمة لجمع الماء وتخزينه، ويدل مصطلح "الجب" في كل من اللغة العربية والإسبانية على خزان مغلق مغطى بقباب، يبنى في العادة تحت مستوى السطح وقد يكون نصف تحت ـ أرضي[٥٢]. ومن النصوص التي أشارت إلى حضور هذه المنشأة في الحواضر الوسيطية، نذكر نص الوزان الذي تحدث عن الخزانات الكائنة بمدينة تازة والتي كان يتم استخدام مياهها العكرة عندما يتم تغيير مجرى النهر الداخل إلى المدينة من طرف الجبليين أثناء حدوث النزاعات والاضطرابات[٥٣].

القورجة: عنصر معماري يرتبط بالوظيفة العسكرية، ويستلزم حضور الماء في موضع تشييده، والقورجة " جدار يخرج من جسم سور مدينة أو حصن، وفي الغالب ما يكون متعامدًا معه، يساهم في تدعيم القدرات الدفاعية للجهة الأضعف منه أو يمكن من الوصول-في أمان-إلى البحر أو نقطة مياه موجودة من الخارج، وغالبا ما ينتهي بباب أو ببرج منيع، ويكون هذا الجدار عبارة عن ستار (سور واحد) أو ممر مكشوف أو مغطى، يحد بسورين متوازيين"[٥٤]. في المغرب نتوفر على مجموعة من الأمثلة عن القورجات البرية والبحرية. ومن النماذج المرتبطة بالصنف الأول نذكر قورجة فاس، فيما تمثل القورجة الموجودة ضمن تحصينات طنجة على البحر الأبيض المتوسط الصنف الثاني [٥٥].

يحسن بنا في هذا المضمار وقبل أن نطوي أوراق دراسة هذا المحور، أن نشير للطرح الذي يقول بدور الحرب البارز وإسهامها الواضح في ابتداع مجموعة من التقنيات والمنشآت المائية التي ارتبط ظهورها بهاجس الخوف من الحصارات[٥٦]. وهو الرأي الذي لا يحول دون لفت الانتباه لدور الحرب في تخريب هذا النوع من المنشآت المعمارية. مصداق ذلك، تدمير الساقية البديعة التي أنشئت في عهد عبد المومن الكومي بقصبة المهدية لضمان تزودها بالماء سنة (٥٤٥هـ/١١٥١م)، حيث تم تخريبها أواسط القرن (٧هـ/١٣م).. أثناء الحروب التي شنها الملوك المرينيون ضد أسرة المنصور"[٥٧]. إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه حيال بعض هذه الوقائع التاريخية في ظل الإشارات اليتيمة التي تفصح عنها المادة الخبرية هو ظروف وملابسات هذه العمليات التخريبية وأسبابها. فلا نعلم أن كان تدمير الساقية المذكورة أمرًا مستهدفًا للحيلولة دون تزود القصبة بالماء؟ أم أنها لا تعدو أن تكون سوى نتيجة عرضية لإحدى العمليات العسكرية التي عصفت بالقصبة؟

خَاتِمَةٌ

ختامًا، يمكن القول إن موضوع مساهمتنا الموسوم بالماء والحرب في حواضر المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط الذي كان محل اهتمام واقتحام من طرفنا ليعد نافذة جديدة تنفتح على آفاق أرحب في حقل الدراسات التاريخية لارتباطه بمجال التاريخ الإشكالي ولاشتغاله على حقول معرفية جديدة بعيدة عن النمطية. وتأتي هذه المساهمة المتواضعة لتنضاف إلى قائمة دراسات أخرى حازت قصب السبق في معالجتها لهذا الموضوع.

وكحصاد إجمالي لما سبق وتم عرضه بناء على المادة المصدرية والمرجعية التي قمنا بتوظيفها، يمكننا القول أن مظاهر الترابط الحاصل ما بين عنصر الماء وظاهرة الحرب يتخذ أشكالاً ومعالم متعددة تبرز بجلاء ووضوح في مختلف العمليات العسكرية بدءا من التحصين، والدفاع، وأماكن نزول وتمييز الجيوش، وصولا إلى عمليات الحصار والهجوم، بالإضافة إلى مختلف التدابير ذات البعد الاستباقي التي يتم الاعتماد عليها اتقاء لشر الحصارات. وهو ما يفضي بنا للتأكيد على دور الماء في رسم معالم بعض ملاحمنا الحربية.

الاحالات المرجعية:

(١) محمد استيتو، "**الماء والحرب في تاريخ المغرب: أية علاقة؟**"، ضمن أعمال ندوة: الماء في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني عين الشق، سلسلة ندوات ومحاضرات رقم ١١، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٩. ص ١٧٨، بتصرف.

(2) Fransisco Vidal Castro, « L'eau et le château en AL – Andalus et au Maghrib :Structures ,Gestion et Pouvoir (Xe-XVe Siècles)» In Le château et la nature ,Actes des Rencontres d'archéologie et d'histoire en Périgord,les 24,25et 26 septembre 2004,textes réunis par Anne –Marie Cocula et Michel Combet, Scripta Varia,11,37-74 .CAHMS-Institut d'histoire de Boccard ,Bordeaux –Paris , 2005 ,p69. ,p ٦٢,63.

(٣) من أهم الدراسات التي اهتمت بدراسة العلاقة القائمة ما بين الماء والحرب، نذكر: - محمد استيتو، "**الماء والحرب في تاريخ المغرب: أية علاقة؟**"، ضمن أعمال ندوة: الماء في تاريخ المغرب.- سعيد بنحمادة، الماء والإنسان في الأندلس، خلال القرنين ٧و٨هـ/١٣و١٤م، **إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات**، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٧م.- لوبنى زبير، **الماء والحرب بالمغرب زمن السعديين ٩١٦-١٠٦٩هـ/١٥١٠-١٦٥٩م**، منشورات دار الأمان، الطبعة الأولى، الرباط،٢٠١٦.

(٤) حواضر مفردها حاضرة، "والحاضرة: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار". انظر: جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) **لسان العرب**، ج ٤، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٩٧.

(٥) نقصد بالدول الكبرى الكيانات السياسية التي حكمت بلاد المغرب في الفترة الزمنية التي تتراوح ما بين القرنين ١١م و ١٥م، وهي: الدولة المرابطية (حوالي ٤٦٠هـ- ٥٤٠هـ / ١٠٦٨م- ١١٤٧م)، الدولة الموحدية (٥١٤هـ-٦٦٨هـ / ١١٢٠م-١٢٦٩ م) والمرينية (٦٦٨هـ - ٨٦٩هـ /١٢٦٩م - ١٤٦٤م). لمزيد من التفصيل، انظر: أحمد عزاوي، **مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي**، ج ٢ (عصر الدول الكبرى: المرابطية، الموحدية والمرينية)، الطبعة الثالثة، الرباط، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٨٤،٥٣،١٣.

(٦) العديد من المؤرخين يؤكدون على أهمية عنصر الماء كشرط رئيس لبناء المدن وتأسيسها. راجع ما جاء عند ابن أبي زرع في هذا الباب "وقالت الحكماء أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء وهي: النهر الجاري، والمحرث الطيب، والمحطب القريب، والسور الحصين، والسلطان". انظر: علي ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص٣٣. وحسب رواية ابن القاضي عن شروط تأسيس المدينة قال: "حكي عن الحكماء أنها قالت: لا تستوطن إلا بلدا فيه سلطان حاضر، وطبيب ماهر، ونهر جار، وقاض عدل، وعالم عامل، وأسواق قائمة، وقالت الحكماء أيضًا: "أحسن المدن هي التي تجمع خمسة أشياء: نهر جار، ومحرث طيب، وحطب قريب، وسور حصين، و سلطان قاهر، إذ به صلاح أهلها وتأمين سبلها ". انظر: أحمد ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣، ص ٤٢.

(٧) ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ج ٢، دار البلخي، الطبعة الأولى، دمشق،٢٠٠٤، ص ١٥.

(٨) الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة وتعليق: محمد حجي - محمد الأخضر، ج١، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت،١٩٨٣، ص ٢١.

(٩) جعفر الناصري، **سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية**، تحقيق: أحمد بن جعفر الناصري، ج١، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٧٨.

(١٠) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص ٣٠١.

(١١) جعفر الناصري، **سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية**، تحقيق: أحمد بن جعفر الناصري، ج٢، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١١٨.

(١٢) الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ص ٢٠١.

(١٣) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تحقيق: د عبد الهادي التازي دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٥٨، بتصرف.

(١٤) ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،١٩٩٢، ص ٧٩.

(١٥) انظر: طارق يشي، **أسوار وأبواب مدينة فاس خلال العصر الوسيط – مقاربة طبونيمية تاريخية** -، دارأبي رقراق،٢٠١٩، ص ٦١-٦٢.

(١٦) ابن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص٣٧.

(١٧) انظر: ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص ٣٠٢.

(١٨) انظر: محمد استيتو، "**الماء والحرب في تاريخ المغرب: أية علاقة؟**، ص ١٨٣.

(١٩) علي بن محمد الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق، أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، الكويت، ص ٧٢.

(20) Tariq Madani, *«Le réseau* hydraulique d*e la ville de Fès», Archéologie islamique, N 8-9, Maisonneuve et Larose, Paris, 1999, p123.*

(٢١) مؤرخ مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1979.ص١٣٦،١٣٥.

(٢٢) سعيد بنحمادة، **الغرب الإسلامي " مباحث في العلوم التجريبية"**، ص ١٦٨.

(٢٣) الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ص ٣٥٤.

(٢٤) انظر: سعيد واحيحي، "**دور عنصر الماء في بناء واندراس بعض المدن المغربية الوسيطية سجلماسة نموذجًا**"، ضمن أعمال ندوة: الماء بمنطقة دبدو: الذاكرة والإشكاليات البيئية والقانونية وآثار التدخل البشري، منشورات جمعية ابن خلدون للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية وحماية المآثر التاريخية والبيئية بدبدو،٢٠١٨، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢٥) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنبير، وعبد القادر زمامة، قسم الموحدين، دار الثقافة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص ٣١٨.

(٢٦) ابن عذاري المراكشي، المرجع السابق، ص٣٢٣.

(٢٧) ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص ١٦٠.

(٢٨) ابن القطان المراكشي، المرجع السابق، ص ١٦١.

(٢٩) انظر: سعيد بنحمادة، **الغرب الإسلامي " مباحث في العلوم التجريبية"**، ص١٦٦-١٦٥.

(٣٠) محمد بن الحسن المرادي، **كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة**، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل وأحمد فريد المزيري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠٣، ص ٦٣.

(٣١) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص١٠٥. يقع هذا الوادي بالقرب من منطقة مشرع بلقصيري.

(٣٢) انظر: ابن أبي زرع الفاسي، المرجع السابق، ص١٠٦.

(٣٣) الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ص ١٩٥.

(٣٤) مؤرخ مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ص ١٤٧.

(٣٥) أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج٢، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص١٩٩٧م، ص ٢١٢-٢١٣.

(٣٦) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٣٧) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، قسم الموحدين، ص ٣٧١.

(٣٨) ابن عذاري المراكشي، المرجع السابق، ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٣٩) أبي بكر الصنهاجي (البيذق)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١م، ص٦١.

(٤٠) أبي بكر الصنهاجي (البيذق)، المرجع السابق، ص٦٣.

(٤١) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص ٢٩٢.

(٤٢) الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ص ١٣٦.

(٤٣) ابن منكلي الناصري، **الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب**، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٠ ص ٣٧٩.

(٤٤) انظر: سعيد بنحمادة، **الغرب الإسلامي "مباحث في العلوم التجريبية"**، ص ١٧٥.

(٤٥) محمد رضاوي، "**النطافي تقنية عتيقة لتدبير ندرة الموارد المائية بعبدة: ضرورات وآفاق التثمين**"، ضمن أعمال ندوة: التراب والمجتمع بالمغرب: تحولات، ديناميات ورهانات"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية،٢٠١٩، ص ٢٢٢.

(٤٦) انظر: محمد بوجندار، **مقدمة الفتح: من تاريخ رباط الفتح**، جامعة محمد الخامس أكدال ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص ووثائق رقم ٥، مطبعة الأمنية، ٢٠١٢، ص ٤٧.

(٤٧) انظر: نور الدين أمعيط، "**مصطلحات التراث المائي بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط: نماذج وقضايا من القرنين ٥و ٦هـ/١١و١٢م**"، ضمن أعمال ندوة: التراث المائي والتنمية بالمغرب، تنسيق: علي بنطالب، عزيز بن الطالب و مصطفى أقبير، منشورات المعهد الملكي للثقافى الأمازيغية، ٢٠١٨، ص ١٠٨.

(٤٨) انظر: عبد المالك ناصري، "**صهريج وحدائق المنارة: نزهة المراكشيين القدامى**"، مجلة زمان: المغرب كما كان، ع٥٢، ٢٠١٨، ص ٧٣.

(٤٩) محمد الكنيدري، **مراكش: تاريخ، تراث، ثقافة وروحانية**، منشورات مركز التنمية لجهة تانسيفت، مراكش، ٢٠١١، ص ٢٠.

(٥٠) انظر: جعفر الناصري، **سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية**، ج١، ص ٢٢٢.

(٥١) ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ص ٣٥٩-٣٦٠.

(٥٢) انظر: لوبنى زوبير، "**الماء داخل الحصون المخزنية بالمغرب الوسيط: إكراهات الاستعمال وحدود الإمكانيات**"، مجلة هسبريس ـ تمودا، العدد17L ، 2 رقم101 ،128.2019 م. ص ٣٠١-٥٠١.

نقلاً عن: – Fransisco Vidal Castro , « L'eau et le château en AL Andalus et au Maghrib :Structures ,Gestion et Pouvoir (Xe-XVe Siècles)», p38 .

(٥٣) انظر: الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ص ٣٥٤.

(٥٤) منير أقصبي، "**القورجة "بالمغرب: قراءة في بعض النماذج من خلال النصوص التاريخية والشواهد الأثرية**"، ضمن أعمال ندوة الأمن في تاريخ المغرب، تنسيق: محمد اليزيدي، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي وكلية الآداب والعلوم الإنسانية-ظهر المهراز بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، ٢٠٢١، ص ١٨٨. نقلاً عن: Robert Ricard, « Couraça et Coracha» ,p152.

(٥٥) انظر: لوبنى زوبير، «**القورجة في التحصينات المغربية الوسيطية بين الأمن المائي والهاجس الدفاعي**"، مجلة المناهل، ملف العدد: إطلالة على حصيلة الدراسات التاريخية المغربية، العدد ٩٩ (أبريل، ماي، يونيو ٢٠٢٠) ص ٤٠٧-٤١٣، بتصرف.

(٥٦) انظر: حميد تيتاو، **الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني ٦٠٩-٨٦٩هـ/١٢١٢-١٤٦٥**، سلسلة أبحاث مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، منشورات عكاظ،2010 م ص ٥٢٥.

(٥٧) الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ص ٢٠٢.